

المثل السائر

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة إليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره أنه قال (طلوع الثنايا بالمطايا) - فإن لفظة المطايا فضلة لا حاجة إليها - وبيان ذلك أنه لا يخلو الأمر فيها من وجهين إما أن يريد أنه سابق الهمة إلى معالي الأمور - كما قال الحجاج على المنبر عند وصوله العراق .
(أَزَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ...) .

أي أنا الرجل المشهور السابق إلى معالي الأمور فإن أراد العجير بقوله (طلوع الثنايا) ما أشرت إليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى لأن معالي الأمور لا يرقى إليها بالمطايا - وإن أراد الوجه الآخر - وهو أنه كثير الأسفار فاخصامه الثنايا بالذكر دون الأرض من المفاوز وغيرها لا فائدة فيه - وعلى كلا الوجهين فإن ذكر المطايا فضلة لا حاجة إليه - وهو تطويل بارد غث .

فقس على هذا المثال ما يجري مجراه من التطويلات التي إذا أسقطت من الكلام بقي على حاله لم يتغير شيء .

وكذلك يجري الأمر في ألفاظ يوصل بها الكلام فتارة تجيء لفائدة وذلك قليل وتارة تجيء لغير فائدة وذلك كثير وأكثر ما ترد في الأشعار ليعوزن بها الأبيات الشعرية - وذلك نحو قولهم لعمرى ولعمرى ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى وبات - وأشباه ذلك - ونحو يا صاحبي ويا خليلي وما يجري هذا المجرى .
فمما جاء منه قول أبي تمام .

(أَقَرُّوْا لَعَمْرِي لِحُكْمِ السَّيِّئِ وَفِرْ ... وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفَضْلِ
الْقَضَاءِ)